خطبة صلاة الجمعة 16/ 9/ 2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(مفهوم الاستخارة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا﴾ [الفجر: 15-17] قال المفسرون: (ردَّ الله على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة، فأخبر أن الإكرام بطاعته والإهانة بمعصيته). فصححت الآية مفهوماً خطأ.

أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».**

وفي رواية قال: **«فما تعدُّون المفلس فيكم؟»** قلنا: من لا مال له، قال: **«ليس بذلك، ولكنه الذي يأتي يوم القيامة بحسنات، ويأتي قد ظَلَم هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، وليس هناك دينارٌ ولا درهمٌ، فيعطَوْن من حسناته ولا يَفي، فيؤخذ من سيئاتهم فيطرح عليه».**

ففي الحديث توضيح وتصحيح نبوي لمفهومي الصرعة والمفلس.

وفي القرآن والسنة من أمثال هذا في تصحيح المفاهيم كثير.

أيها الإخوة:

التصورات توجه التصرفات، والمفاهيم تؤثر في الحركات والسكنات.

فتصورات الإنسان ومفاهيمه تنعكس في حياته سلوكاً وسكوناً، وأعمالا وأقوالاً، وعطاءً ومنعاً.

فمن تصور المعنى الحقيقي للذهب حافظ عليه وضن به، بينما من تصور أن الذهب معدنٌ خسيس فرط فيه وضيعه؛ فالتصورات توجه التصرفات، والمفاهيم تؤثر في الحركات والسكنات.

هذه الخطبة السادسة من سلسلة خطب عنوانها: (مفاهيم تحتاج إلى تصحيح) جاءت لتصحيح مفاهيمنا لبعض المصطلحات الشرعية والحياتية، والمأمول ممن صح تصوره أن يصح تصرفه. والله الموفق.

عنوان خطبة اليوم: **مفهوم الاستخارة**

تقدم طبيب ديّنٌ يملك بيتاً وعيادة للزواج من فتاة ملتزمة، وبعد جلستين رأى الطرفان وأهلُهما مناسبة كل منهما للآخر، فأراد أهل الفتاة تبييت استخارة، ووعدوا الطرف الآخر خيراً، وطلبت أم الفتاة من آنستها في المسجد ذلك، فلما أصبح الصباح أخبرتها الآنسة أن الزواج غير مناسب وأنها رأت مناماً غير جيد، فاتصل أهل الفتاة بأهل الشاب وأبلغوهم اعتذارهم!

فهل هذه هي الاستخارة المشروعة؟ وهل صح تصرفهم؟!

رغّبه أصحابه كثيراً بالسفر، وأخبروه أنه سيحقق جميع أحلامه بأسرع الأوقات، ومع أن عملَه في البلد جيد ودخله مقبول، ومع أنه وحيد والديه غير أنه قرر السفر إن كانت استخارته حسنة، فطلب من والدته أن تصلي له صلاة استخارة، فرأت في منامها خَضَاراً وأنهاراً ومياها رقراقة وأشجاراً، فسُرَّت بذلك، وباعت له بعضاً من مصاغها الذهبي ودعته إلى اقتراض ما تبقى ليسافر ويحقق أحلامه.

فهل هذه هي الاستخارة المشروعة؟ وهل صح تصرفهما؟!

مع صدور نتائج الثانوية العامة وصدور مفاضلة القبول الجامعي حار ثلاثة أصحاب في أي اختصاص جامعي يختارون، فجاءهم من يقول إنه يعرف رجلاً صالحاً يجري استخارة فتحِ المصحف، فذهبوا إليه وأخبروه بحاجتهم، فجاء الرجل بمصحف وسمى عليه عدداً من المرات ثم فتحه على نية الطالب الأول فكانت الآية الأولى في الصفحة اليمنى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 15] فأخبره أنّ المفهوم من هذه الآية أنه يختار كلية الجغرافيا.

ثم فتح لثاني المصحف بعد التسمية فوجد قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46] فأخبره أن يختار تجارة واقتصاد؛ لأنه المفهوم من المال في الآية.

ثم فتح للثالث فكانت أولَ سورة فصلت ﴿حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 1-3] فأخبره أن هذا إشارةٌ لكلية الأدب العربي. ففعل الثلاثة ما قال الرجل!

فهل هذه هي الاستخارة المشروعة؟ وهل صح تصرفهم؟!

أراد شاب الزواج من فتاة فدُلَّ على رجل يجري استخارة الأسماء، فذهب إليه وسأله فطلب إليه الرجل اسم الفتاة واسم أمها، واسمه واسم أمه، ثم جاء بورقة وكتب عليها الأسماء ثم أعطى لكل حرفٍ رقماً ثم جمع الأرقام عند الشاب وأمه ثم عند الفتاة وأمها ثم أخبره أنه لن يتوافق مع هذه الفتاة لأنه ظهر له من خلال أحرف الأسماء أن أحدهما أحرف اسمه مائية والآخر أحرفه نارية، ولا تجتمع الماء مع النار!

فانصرف الشاب عن خطبة الفتاة.

فهل هذه هي الاستخارة المشروعة؟ وهل صح تصرفه؟!

أيها الإخوة:

الإسلام دين العلم والعقل والحكمة، دينٌ نفى عن أتباعه الخرافة والكهانة وأبعدهم عن العرافين والمنجمين وذم السحرة والمشعوذين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ**» [النسائي].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم**» [أبو داود].

وأعلم الله تعالى عباده أنه استأثر بعلم الغيب وحده وأطلع رسله فقط على بعضه، ليتخلص المسلم من كذب كل مشعوذ أو منجم أو قارئ كف أو فنجان أو برج يخبره بحوادث مستقبله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: 26-27].

ومن كمال تربية الإسلام المسلمين على التعقل والتفكر والحكمة دعاهم إلى الدعاء والتوجه إلى الله تعالى في عونهم في أمور دنياهم وأخراهم، إذ العبد ضعيف بنفسه قوي بربه، فقير بنفسه غني بربه، فالله يعلم ويقدر والعبد لا يعلم ولا يقدر إلا ما أعلمه الله وأقدره عليه.

وهذه هي حقيقة الاستخارة التي شرعها الإسلام؛ دعاءٌ ولجأٌ إلى الله تعالى، وتبرؤ من علم العبد وقدرته إلى علم الله تعالى وقدرته، وطلب الخيرة منه سبحانه وتعالى.

الأصل في الاستخارة المشروعة حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما المروي في صحيح البخاري وغيره قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي، فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي، فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أوقال: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أرضني به. قال: ويسمي حاجته**».

وفي هذا الحديث فوائده المظهرة للاستخارة المشروعة:

أولها: قوله «**إذا همَّ**» والهم هو عقد القلب على فعل شيء، والأصل أنّ قلب الحكيم لا ينعقد على فعل شيء أو تركه إلا بعد أن يخبر أجزاءه أو يستشير خبراءه، ومن هنا كان الصواب أن يستشير المرء المتخصصين في المسألة فإن أشاروا عليه بتركها تركها، وإن أشاروا بفعلها استخار ربه ثم مضى نحوها و «**مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَلَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ**» [المعجم الأوسط].

وثانيها: قوله «**بالأمر**» المراد به الأمر المهم من المباحات، كسفر أو زواج أو بيع دار ونحوها، فلا يستخير في الفرائض والمحرمات لأنها مأمور بها أو منهي عنها على سبيل القطع.

وثالثها: قوله «**فليركع ركعتين**» المراد صلاة الركعتين ويليهما الدعاء، والحديث ظاهر في أن الذي يصلي الاستخارة صاحب الحاجة «**فليركع**» هو، لا أن يوكل غيره بالصلاة، من رجل يعتقد صلاحه أو امرأة، فقد أجمع العلماء أنه لا يصلي أحد عن أحد فرضاً ولا سنة، ولكن يجوز للمرء أن يدعو لأخيه لا أن يصلي عنه، فمن صلى استخارة لغيره فصلاته لنفسه ودعاؤه لغيره.

ورابعها: قوله «ركعتين من غير الفريضة» يصح دمج نية الاستخارة مع كل ركعتين من غير الفرائض، سواء في نافلة قيام الليل أو الضحى أو السنن القبلية والبعدية للصلوات، وإن كان الأفضل صلاة ركعتين خاصتين بالاستخارة.

ومن الممكن تكرار الاستخارة عدداً من المرات وإن كان الأصل فيها ركعتين فقط للحديث.

وخامسها: قوله «ثم ليقل» يفيد بأن الدعاء المأثور يقال بعد الصلاة، ويمكن قوله بين أجزائها من سجود وتشهد، والأصل أن يدعو بالدعاء المأثور كما ورد في الحديث فإن لم يحفظه قال: «اللَّهُمَّ خِرْ لِي وَاخْتَرْ لِي» [الترمذي].

ويمكن للمرء أن يدعو بالدعاء ولو من دون صلاة الركعتين وإن كان الأصل الركعتين ثم الدعاء بعدهما.

وسادسها: مَاذَا يفعل المستخير بعد الاستخارة؟ هل ينتظر مناماً أو شرحاً للصدر أو رسالة من الله تعالى؟

الجواب:

أخرج حديث جابر في الاستخارة الإمام البخاري في عدة مواضع، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم، وللحديث شواهد من حديث ابن مسعود وأبي أيوب وأبي بكر وأبي سعيد الخدري وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين.

ولم أجد في واحد من هذه الروايات والأحاديث حديثاً مقبولاً فيه إشارةٌ إلى انتظار منام بعد الاستخارة أو انتظار شرح صدر أو انتظار رسالة من الله.

فالمعتمد أن المستخير بعد أن يصلي الاستخارة يمضي للعمل الذي استشار له واستخار، ويستدل له بحديث ابن مسعود وفي آخره: «ثُمَّ يَعْزِمُ».

وبناء على كل ما سبق: فرفض تزويج البنت من طبيب ديّن يملك بيتاً وعيادة بناء على رؤيا منام بعد الاستخارة غير صحيح والاستخارة المشروعة لا تعتمد على المنامات.

ومثله قرار سفر الشاب وحيدِ أبويه بناء على منام الخضرة الوفيرة والأنهار الجميلة قرار غير صائب.

واختيار الاختصاص الجامعي بناء على استخارة المصحف لا يرضاه الدين ولا تقره الشريعة الإسلامية.

واستخارة الأسماء والأحرف الترابية والهوائية والنارية والمائية نوع من الجهل والخرافات، ومثلها قراءة الكف والفنجان والأبراج واستخارة السبحة، كلها من الجهالات التي جاء الدين بمحاربتها.

أيها الإخوة:

من الأخطاء التي وقعت في تصور بعض الناس فهمهم الاستخارة رؤيا منام أو انشراحَ صدر فنتج عن هذا الفهم الخاطئ أن ضيّع المسلم شيئاً من الفرص المواتية أو دخل في شيء من الأمور غير المناسبة، وعلى الطرف الآخر تكسب بعض الأشرار أو الجهال من عمل الاستخارات ورؤيا المنامات واستخفوا عقول الناس وأحلامهم، بينما هزء بعض غير الملتزمين من المتدينين لقصور فهمهم وذهاب ألبابهم.

والصواب أن الاستخارة دعاء بعد استشارة، وتوكل على الله تعالى في أن يختار الخير لعبده. والله أعلم

أيها الإخوة:

خلاصة الخطبة في هذه الكلمات:

فهم الاستخارة أنها مناماتٌ تكشف الغيب أو خرافاتٌ تتطلع على المستقبل مفهوم خاطئ، والصواب في مفهوم الاستخارة الآتي:

1- الإسلام دين العلم والعقل والحكمة، نفى عن أتباعه الخرافة والشعوذة، ودعاهم إلى الدعاء والتوجه إلى الله تعالى ليختار لهم الخير في أمور دنياهم وأخراهم، وهذه هي حقيقة الاستخارة.

2- الأصل أن المرء يستشير العقلاء الخبراء في شؤونه الهامة، فإن أشاروا عليه بعمل استخار ثم مضى لذلك الأمر.

3- الاستخارة سنة فيها يصلي صاحب الحاجة ركعتين من غير الفريضة ويدعو بعدهما بالدعاء المأثور ثم يمضي للعمل، ويمكن أن يدعو من دون صلاة وإن لم يحفظ الدعاء قال: اللهم خر لي واختر لي.

4- لا تنتظر بعد ركعتي الاستخارة مناماً ولا انشراحاً ولا رسالة، ولكن توكل على الله وامض لأمرك.

5- لا ترضى الشريعة استخارة المصحف ولا استخارة الأسماء والأحرف ولا قراءة الفنجان أو الكف أو البرج ونحوها من الخرافات. والله أعلم.

أيها الإخوة:

التصورات توجه التصرفات، والمفاهيم تؤثر في الحركات والسكنات، ولهذا جاءت سلسلة مفاهيم تحتاج إلى تصحيح، وهذه الخطبة تحدثت عن مفهوم الاستخارة، والمأمول ممن صح تصوره أن يصح تصرفه. والله الموفق.

والحمد لله رب العالمين